Coptology

جبل طابور، والجلجثة والقبر

دكتور
جورج حبيب بباوي
مارس ٢٠١٣

www.coptology.org

جبل طابور، والجلجثة والقبر

ثلاثةُ أحداثٍ ... تبدو – حسب الفهم ومسيرة التاريخ – تسير في تسلسل ..
– تجلي الرب على الجبل أمام تلاميذه الثلاثة.
– صُلِبَ ودُفِنَ، ... ثم قام.

نحن فقط بشر، لكن يسوع هو إلهٌ بشر. نحن تُحرِّكنا أحداثُ الحياة، ولكن يسوع هو الذي يحرِّك الوجود كله. ففيما كان في الجسد، كان يحفظ ويسوس ويرعى الخليقة وهو متجسد (القديس أثناسيوس – تجسد الكلمة).

جاد علينا الآباء بكلمةٍ تُعد مفتاحاً لفهمٍ أفضل، وهي: "**التدبير**". وقد وردت هذه الكلمة في العهد الجديد نفسه (أفسس ١: ١٠)، وهي تعني خطة تسير نحو هدفٍ معين. وما يجب أن ندركه فوراً، هو أن خطة الله لتجديد الإنسانية في يسوع لا يحركها الزمان، فليست أية حقبة أو فترة زمانية هي التي تصنع الحدث أو حتى تُسهم فيه. لذلك، فإن عبارة أوغسطينوس التي يقول فيها إن الزمان هو فقط "المسرح" الذي يحرك الله عليه الأحداث، هي عبارة شديدة الوطأة على آذان فاقدي حرية الاختيار الذين يظنون أن الزمان هو مصدر التغيير مع أن الزمان *Time* بلا عقل وبلا إرادة، هو مجرد مقياسٌ فقط.

عندما رتَّب الهراطقة حياة الرب ترتيباً زمانياً (كرونولوجياً)، وجعلوا الزمان هو أول أساس لهذا الترتيب؛ سقطوا في إنكار الأزلية، وحتى العبارات الربانية التي تؤكد الأزلية: "أنا والآب واحد" (يوحنا ١٠: ٣٠)، أرجعوها إلى وحدة الإرادة فقط لا إلى وحدانية الحياة الواحدة مع الآب قبل الزمان.

"ما قبل، وما بعد" في يسوع:

لا يوجد في أقنوم الكلمة ابن الله ما هو قبل وما هو بعد، أي ما قبل الزمان وما

بعد زمان معين. أزلية الابن دخلت زمان الإنسان لكي تحوِّل زمان الإنسان إلى أداة استعلان ما هو كائن. يسوع يُولد في بيت لحم، ويجمع بذلك ميلاده الإلهي بدون أُم إلى ميلاده الإنساني بدون أب؛ لكي يكوِّن الإنسان الجديد، لكي يعيد خلق آدم أي الإنسانية، ولكي يصبح الخلاص والتجديد حقيقة كيانية إنسانية، فهو يأخذ ناسوتاً واحداً لأنه لو أخذ اثنين واحد قديم (عتيق) وآخر جديد لَضاع القديم والجديد معاً.

ولو كان الابن قد أخذ آدم العتيق، وتوقف عند هذا العتيق؛ لَضاع الخلاص.

ولو كان الابن قد أخذ آدم جديداً من لحظة ميلاده حتى قيامته، رغم أن القيامة هي بالضرورة قيامة المائت، وقيامة المائت تعني قيامة العتيق، أقول لو بدأ يسوع بإنسان جديد له كيان جديد يختلف عن كياننا الإنساني؛ لأصبح تجديد الإنسان هو في **يسوع وحده**، وليس للجنس البشري. عندئذٍ يصبح لدينا إنسانٌ جديدٌ لا ينتمي إلى البشر، ويصبح لقبُ "ابن الإنسان" خدعةً، بل تصبح حياة يسوع مسرحية هزلية أمام البشر المائتين الذين لا رجاء لهم في أن ينالوا حياةً جديدةً.

لو كان يسوع قد أخذ ناسوتين معاً في نفس الوقت، أحدهما كيان قديم، والآخر جديد لَكان الاتحاد الأقنومي مآله إلى انقسام؛ لأن القديم هو نحن، هو "اللحم والدم"، ومن أين يأتي الجديد إن لم يكن بتجديد القديم؛ إذ لا يمكن لأي كائن حي له وجود إنساني حقيقي أن يعيش بنوعين من الوجود. تصوَّر أن يكون لشخصٍ واحد نوعين من الوجود، وجود قديم ووجود جديد، فهل يكون كلاهما معاً في صراع، أم في اتحاد، أم ... الخ. فما الذي يمكن لهذا الشخص أن ينجزه من تقدم؟ وما هو مصير القديم؟ ومن أين يجيء القديم والجديد معاً في ذات كيان هذا الشخص؟

الحقيقة هي أن القديم جُدِّد في يسوع لأنه صار الإنسان الجديد.

كراهية الجسد – كراهية القديم في مدرسة الغنوسية:

القديم ليس مشكلة لاهوتية فقط، بل هو مشكلة عقلية – نفسية – ثقافية أيضاً. قد يكون القديم مصدرُ إلهام، وقد يصبح قيداً وسلاسل. فالدعوة إلى السلف الصالح هي دعوة إفلاسٍ إنساني بكل معنى الإفلاس وجوانبه. لم نعد نستطيع أن نعيش

حياتنا بقدراتنا، وبما نجده في الواقع، وبما نريد أن نكون، بل علينا أن نقدم استقالة جماعية من الحاضر لأن الماضي أعظم وأفضل. وعندما نستقيل من الحاضر نفقد المستقبل؛ لأن العودة إلى القديم = الماضي هو وضع الحياة في "قبر" لكي تتعفن.

والماضي له علاقة وثيقة بجسد كل إنسان. الجسد هو ملف الماضي، هو الشاهد على أننا كُنا هذا أو ذاك، وهو يحمل بصمات الفشل والنجاح والخوف والرجاء. وكل إنسان يتمنى أن يكون له جسد آخر غير ذلك الذي له؛ طمعاً في جمال أو قامة أو قوة جسدانية.

ويأتي الكلمة ابن الله متجسداً لكي يدخل دنيا الأجساد حيث الوجع، البكاء، والموت، والحروب وكل أنواع الصراعات .. بل والأهم، حيث الشر نفسه مُستعلناً في حياة البشر وبصورة مرئية متعددة.

الحل الغنوسي هو حذف الجسد، واعتباره شبحاً وخيالاً لا قيمة له ولا وزن. احذف الجسد من الوعي بكل آليات العقل القادرة على إنكار *Negation* ما هو كائن لكي يمكن أن يحيا الإنسان صراعه بالأفكار، وهكذا كتب إريك فروم *Fromm* كتابه "النفي – *Negation* " محذراً من أن إنكار شيء هو مجرد تأجيل الحل أو الحلول.

يسوع في الغنوسية كما وصلنا في المصادر القبطية واليونانية، هو روح. والمدهش أن أوراق الكتب الغنوسية وصلتنا بالقبطية، أمَّا ما نعرفه عن تاريخ هذه الشيع، فقد نقله إلينا الآباء أكليمنضس – أوريجينوس وترتليان، وقبل كل هؤلاء القديس ايريناوس في مجلد كبير عن الغنوسية. إلى أي درجة تأصلت الغنوسية في الشرق؟ لا نعرف، فليس لدينا إحصاءات. كانت مدرسة مارقيون حية حتى آخر القرن الثالث، والجدير بالتأمل أنها حاربت الزواج، فوضعت بذلك حداً لوجودها.

يسوع الحقيقي ابن الإنسان:

صعبٌ علينا أن نتصور أن يسوع عاش حياةً إنسانيةً حقيقيةً مثل حياتنا، وأنه كان يأكل مع الزناة وشاربي الخمر، بل ويسير بين الذين تسلطت عليهم الأرواح النجسة. وصعب علينا أن نتصور ذلك للأسباب التالية:

١– نحن نشعر بأن الشر آتٍ إلينا من الداخل، من صور عقلية، وخبرة قديمة، وأحياناً تندفع من الذاكرة والمخيلة، وتحرك إرادتنا ويبدو لنا أننا أسرى .. فهل كان يسوع في نفس هذا الوضع المهين .. فقدان الإرادة الحرة؟ أم أنه كان يختلف عنا في أن الأفكار كانت تأتي لكي تطرد فوراً ولا تجد لها جذراً أو ركناً؟

تعلمنا من الأدب النسكي المسيحي أن بعض رواد الحياة النسكية تطهروا مثل أوغريس (ايفاجريوس) وغيره، حيث كان **يرى** الأفكار قبل أن تنبت، مجرد بذرة في هواء الحياة العقلية، ولعل هذا يكون أقرب إلى حياة المتجسد رب المجد الذي له رؤية أعظم لأنه عرف المحبة غير المنقسمة بين الله والذات والقريب، فمن الانقسام، أي انقسام المحبة يدخل الشر بكل أنواعه.

٢– وقيل عن الرب يسوع إنه: "مجرب مثلنا في كل شيء" (عب ٤: ١٥)، والتجربة هي صراعٌ داخلي يُحسم، والحسم هو الحرية، ولكن يسوع الذي يحسم تجاربه، يحمل العطف والحنان؛ لأنه "يقدر أن يعين كل المجربين" (عب ٢: ١٨).

فإذا جاء يسوع بكيانٍ واحدٍ إنساني حقيقي من القديسة مريم، هو ذات كيان كل إنسان، فهل يقع يسوع في تجريد إنسانيته من الوجع والألم والموت، و"ينزل عن الصليب"، أم يأخذ هذه الإنسانية في مسيرة التجديد نحو حياة حرة جديدة في تجديد الفكر والإرادة والشعور بل وفي تجديد محبة البشر، محبة الإنسان لله وهي المحبة الغائبة؟

وكيف يجدد يسوع هذا الكيان؟ إن عاش حياة تجديد فكرية فقط كان التجديد خيالياً وعقلياً فقط حُوصِرَ فيه وحده. إذن لابُد من تغيير في الإرادة، في خلايا الجسد، في العظام واللحم، وكل الكيان. والتمسك بهذا هو تمسُّكٍ بأصل خلاصنا نحن؛ لأننا ننال تجديد كياننا الجسد والنفس معاً، لأننا نتأمل أو نفكر، أو حتى نصلي؛ لأن الحياة الإنسانية يجب أن تدخل مجال حياة جديدة أعطاها العهد الجديد "الخلقة الجديدة".

الحل الغنوسي هو "بتر" و"قطع – *amputation*" ولكن قطع وبتر القديم يعني حتماً أن القديم لم يتجدد. ولكن هل الجديد ينمو موازياً للقديم؟ بكل تأكيد لا، بل ينمو من داخل القديم بالشكل والمضمون الذي نراه في خلع الإنسان القديم أو العتيق، هو عملٌ مستمر، ولبس الجديد الذي دائماً في الحاضر يتجدد "حسب صورة خالقه"،

والذي "ينمو نمواً من الله". وفي عبارة بليغة تحمل زخم وكثافة التجديد يقول الرسول إن حياتنا هنا هي مثل خيمة أرضية (٢ كو ٥: ١)[١] ولكن لنا رؤية "بناء من الله" غير الخيمة، ثم "فَإِنَّنَا فِي هذِهِ أَيْضاً نَئِنُّ مُشْتَاقِينَ إِلَى أَنْ نَلْبَسَ فَوْقَهَا (فوق الخيمة) مَسْكَنَنَا الَّذِي مِنَ السَّمَاءِ"، ولكن ذلك الأنين هو ثقيل علينا – ولاحظ السبب "لَسْنَا نُرِيدُ أَنْ نَخْلَعَهَا بَلْ أَنْ نَلْبَسَ فَوْقَهَا، لِكَيْ يُبْتَلَعَ الْمَائِتُ (الخيمة) مِنَ الْحَيَاةِ" (٢كو ١ – ٤)، وهنا ليس لدينا برنامج يومي، بل لكل إنسان برنامج حياته للتجديد في المسيح.

الإتحاد الأقنومي وتحول ناسوت الرب:

في الصراع ضد تقسيم المسيح الذي جاءت به المدرسة النسطورية، قدم القديس كيرلس الكبير عدة أمثلة لشرح الإتحاد الأقنومي:

المثال الأول: تابوت العهد المصنوع من الخشب والمغطى بالذهب من الداخل والخارج، هو خشبٌ وذهبٌ معاً، ولكنه **تابوت واحد** (شرح تجسد الابن الوحيد فقرة ١١) وعلى نفس المثال الرب يسوع إلهٌ متجسِّدٌ، ربٌ واحدٌ.

المثال الثاني: الحجر الثمين له لمعان وجمال يشع نوراً، ولكن الحجر واحد لا يمكن فصل الحجر عن لمعان وبهاء الحجر (العظة ١٧ مجلد ٧٧: ٧٧٦).

المثال الثالث: ورد في شرح تجسد الابن الوحيد عن رائحة الزنبقة التي لا يمكن فصلها عن الزنبقة (راجع فقرة ٩).

المثال الرابع: اتحاد النار بالخشب، مع ملاحظة أن النار تقضي على الخشب، ولكن هذا المثال قيل لهدف واحد، وهو اشتعال الخشب (شرح تجسد الابن الوحيد ٩).

المثال الخامس: جمرة النار التي مست شفتي اشعياء (أش ٦: ٦) هي مثال الإتحاد الذي لا انفصال فيه.

المثال السادس: العليقة، وهي مثالٌ قديم عُرِفَ عند هيبوليتوس ومار افرام، وهو خاص بسكنى اللاهوت في أحشاء القديسة مريم، ويظل الناسوت ناسوتاً، ولكنه مشتعل بنار اللاهوت (جلافيرا على سفر الخروج ١٣: مجلد ٦٩: ٢٠٤).

---

(١)"لأَنَّنَا نَعْلَمُ أَنَّهُ إِنْ نُقِضَ بَيْتُ خَيْمَتِنَا الأَرْضِيُّ، فَلَنَا فِي السَّمَاوَاتِ بِنَاءٌ مِنَ اللهِ، بَيْتٌ غَيْرُ مَصْنُوعٍ بِيَدٍ، أَبَدِيٌّ".

ولكن **المثال الجدير بالاهتمام** حقاً هو اتحاد النفس بالجسد في الإنسان الواحد، وهو المثال الوارد بوفرة في كل النقاط الدفاعية عن الرب الواحد غير المنقسم إلى اثنين، فالنفس هي قوام الجسد والوحدة العضوية بين الاثنين النفس والجسد، هي أقرب مثال على اتحاد اللاهوت بالناسوت؛ لأن الجسد بلا نفس ميتٌ، والنفس بلا جسد ليست إنساناً كاملاً؛ لأن كمال الوجود الإنساني هو الإنسان الواحد نفساً وجسداً.

يقول القديس كيرلس الكبير عن تجسُّد الابن له المجد:

> "وُلِدَ من امرأة كإنسان، وهذا لا يعني أبداً أنه فَقَدَ ما له، وعندما جاء إلى اللحم والدم ظلَّ الإله بالطبيعة والحق" (الخطاب الثالث لنسطور فقرة ٣٥).

وفي الخطاب ليوحنا الأنطاكي فقرة ٩ يقول:

> "الله لا يتغير ولا يتبدل، ونحن جميعاً نعترف بأن الكلمة الله لا يتغيَّر، وحتى في سر التدبير الفائق الحكمة، هو (المسيح) ينسب إلى نفسه الآلام التي حلَّت بجسده (١ بط ٤: ١)، هو يحمل هذه الآلام في جسده حسب التدبير الذي ارتضاه لذاته".

الطبيعة الواحدة المتجسدة Mia Physis

الطبيعة هي الكيان. هي الوجود. الطبيعة هي الحياة الواحدة غير المنقسمة إلى كائنين في صلة أو مصاحبة أو علاقة، بل في اتحاد: "طبيعة واحدة للكلمة أو أقنوم واحد إذا أردت هو الكلمة ذاته"، وهو ما يؤكده كيرلس في الرسالة الثالثة لنسطور:

> "كل ما كُتب في الأناجيل هو خاص بأقنوم واحد *Prosopon* الذي اتخذ جسداً وهو أقنوم الكلمة" (فقرة ٣).

وفي الرسالة إلى رهبان مصر يقول:

> "هم مثل مَن يريد يُقسِّم شعرة الرأس عندما يتحدثون عن آلام طبيعة الناسوت، لأن هذا يخدم الهدف الذي يسعون إليه، وهو فصل الناسوت عن الكلمة؛ لكي يتصور مَن يسمع، أن الخطاب هو عن اثنين وليس الواحد

الكلمة من الله الآب الذي تجسد وصار إنساناً" (فقرة ١١).

ويجيء التحذير من هدم تجسد الرب في عقول المؤمنين:

"لأن الكلمة أقنومياً وحَّد كينونة الإنسان بكيانه"؛ لأنه لأجلنا ولأجل خلاصنا وُلِدَ من امرأةٍ، ولذلك قيل عنه إنه وُلِدَ حسب الجسد .. أمَّا إذا أنكرنا الإتحاد الأقنومي واعتبارناه مستحيلاً أو لا يليق، فإننا نسقط في قول بأنه يوجد ابنين" (فقرة ٦ الرسالة الثانية لنسطور).

هل منع الإتحاد الأقنومي الموت؟

هل حجب الوجع والجلد والتعب والجوع، بل والحزن الشديد، وهو ما تسجِّله رسالة العبرانيين: "الَّذِي، فِي أَيَّامِ جَسَدِهِ، إِذْ قَدَّمَ بِصُرَاخٍ شَدِيدٍ وَدُمُوعٍ طَلِبَاتٍ وَتَضَرُّعَاتٍ لِلْقَادِرِ أَنْ يُخَلِّصَهُ مِنَ الْمَوْتِ، وَسُمِعَ لَهُ مِنْ أَجْلِ تَقْوَاهُ، مَعَ كَوْنِهِ ابْناً تَعَلَّمَ الطَّاعَةَ مِمَّا تَأَلَّمَ بِهِ. **وَإِذْ كُمِّلَ صَارَ** لِجَمِيعِ الَّذِينَ يُطِيعُونَهُ، سَبَبَ خَلاَصٍ أَبَدِيٍّ" (عب ٤: ٧ – ٩). وعن ما سجَّلته الرسالة للعبرانيين يقول كيرلس في ايجاز:

"الكلمة ... اشترك في كل ما يخصنا وأخلى ذاته فصار في أيام جسده" (عب ٥: ٧) مثالاً لنا. وما هو وجه الخطأ إذا تصرف حسب المقاييس الإنسانية مثل إطالة الصلاة وسكب الدموع .." (المسيح واحد ص ٧٥).

لقد تقدم الناسوت بلا شك في المعرفة، ولهذا يقول كيرلس:

"ونحن بكل يقين نعتقد أنه في العلو الإلهي، ولكنه ظهر كإنسان، وهي حالة تستدعي الأخذ والحصول على كل الأشياء، ولذلك هو الملء الذي يعطي الكل من ملئه، ولكن عندما تجسد وصار إنساناً، صار فقر الإنسانية فقره. والمسيح حقاً هو سرٌّ عجيب مدهش، ففي صورة العبد نجد الربوبية، وفي الكيان الإنساني نجد مجد اللاهوت، والذي تحت نير مقاييس الناسوت هو في نفس الوقت يلبس إكليل اللاهوت الملوكي، والفائق الذي يعلو على الأشياء، هو في عمق الإتضاع .. ولكنه لم يبق دائماً في حالة

الإخلاء، بل لكي يأخذ الذي لنا فنعرفه الإله المتجسد .." (المسيح واحد – ص ٧٢ – ٧٣)

التجسد هو إتحادٌ حقيقيٌّ بين لاهوت الله الكلمة، وناسوتٍ واحدٍ ينتمي إلينا:

يكتب القديس كيرلس الكبير قائلاً:

"من الواجب علينا أن لا ندعي وجود ابن آخر أو رب آخر غير الكلمة. والإنجيلي الحكيم قال أولاً إن الكلمة صار جسداً مؤكِّداً أن جسده سوف ينمو وفق قوانين الجسد؛ لأنه ينتمي إلى الإنسانية، ولذلك يتقدم في القامة والحكمة وأيضاً النعمة، كل هذه تسير معاً عندما ينمو الجسد في القامة حسب مقاييس الطبيعة الإنسانية. فجسد الأطفال شيء وجسد البالغين شيء آخر، والفرق هو النمو الذي يحدث للكل. ولم يكن مستحيلاً ولا غريباً أن يأتي الكلمة ... ويتنازل لكي يُقمَّط بالخِرَق التي يُقمَّط بها الرضعان. فهو قد اتحد بالجسد وجعل جسده ينمو لكي يصل إلى حد كمال القامة... وسمح تدبيراً أن تنطبق عليه مقاييس الطبيعة الإنسانية، وكل هذا تمَّ بترتيبٍ لائقٍ ليكون فعلاً مثلنا في كل شيء. وان يتقدم قليلاً إلى ما هو أعظم، حسبما تستدعي مراحل العمر، وأن تنمو القامة مع الإدراك في انسجام. والكلمة كاملٌ في كل شيء ولا يحتاج إلى النمو ولا إلى الزيادة. بل تعد وُصِفَ بهذه الكلمات لأنه جعل ما يخصنا يخصه هو، لأنه صار مثلنا ..". ثم يعود ويكرر: "الناسوت يخصُّه تدبيراً، ومع الناسوت كل ما يخص الناسوت من صفات، وهذا يمنعنا من أن نعتقد بابنٍ آخر .." (المسيح واحد ص ٨٢ – ٨٣).

التسليم الكنسي السابق على القديس كيرلس السكندري:

إن ما يحدث للجسد هو ما حدث لله المتجسد وقبول الابن له المجد، وهكذا

يشرح أثناسيوس العظيم آلام الرب:

"الإنسان لا يموت بسلطانه الخاص، بل باضطرار الطبيعة ورغم إرادته. أمَّا الرب، فلأنه هو نفسه غير مائت، ولكن لأنه أخذ جسداً مائتاً، فله السلطان كإله أن يفصل النفس عن الجسد وأن يعيدها أيضاً حينما يريد.." (ضد الأريوسيين ٣: ٥٨ ص ١٠٨).

"تألم في الجسد لكي يجعل الجسد من الآن فصاعداً غير متألم وغير مائت" (المرجع السابق ص ١٠٣).

"الأوجاع وكل الأمور الأخرى التي أتت عليه هو .. قد أبيدت تماماً" (المرجع السابق ص ١٠٣).

"حينما صار إنساناً، فقد أخذ جسداً يخاف، ولأجل هذا الجسد وحَّد إرادته الذاتية بالضعف البشري؛ لكي يبيد هذا الضعف ويعطي للإنسان أن يكون شجاعاً أمام الموت .." (ضد الأريوسيين ٣: ٥٧ ص ١٠٠ – ١٠١).

أباد الموت بالموت (ضد الأريوسيين ٣: ٥٧):

الموت حقيقةٌ لا يمكن أن تغيب، وواقعٌ مؤلم، والموت لا يُباد من الطبيعة الإنسانية بفكرة؛ لأنه – كمرضٍ – لا يُعالَج بالكلام ولا بالوعظ ولا بالفكر، بل مثل كل مرضٍ يعالَج بدواء يقضي عليه.

قَبِلَ الربُ الموتَ في جسده القابل للموت لكي يفرز من إلوهيته عدم الموت. يقبل الموت من أيدي البشر لكي يعطي الحياة.

يقول القديس كيرلس السكندري أيضاً:

"الابن الوحيد الكلمة خلصنا وأخذ شبهن؛ لكي إذا تألم في الجسد وقام من الموت يعيد طبيعتنا إلى الحياة، ويجعلها أقوى من الموت والفساد. وما حققه كان قوة وتجديداً للخليقة" (المسيح واحد ص ١٠٣).

لقد بذل الرب حياته، ولذلك يشرح القديس كيرلس الإيمان:

"من ذا الذي يستطيع أن يبذل ذاته ويعيدها مرةً ثانيةً إلى الحياة سوى الابن الوحيد بالحق، فهو الذي بذل ذاته وأعادها مرةً ثانيةً إلى الحياة وجعلها فوق سلطان الموت" (المسيح واحد ص ١٠١).

الطبيعة الإنسانية تحولت فيه:

"هو يُدعى آدم الثاني لأنه جاء من نسل آدم الأول حسب الجسد، وصار البداية الثانية (الجديدة) للذين على الأرض؛ لأن الطبيعة الإنسانية تحوَّلت فيه إلى الحياة الجديدة، حياة القداسة وعدم الفساد بالقيامة من الأموات" (المسيح واحد ص ١٠٠).

ولكن ذلك يجب أن نراه باستقامة، أي بأرثوذكسية؛ لأن:

"كيف أمكننا أن نقول إن سر تدبير تجسد الابن الوحيد قد أعان الإنسانية ... ما لم يصر جسده هو جسد الحياة الذي خضع للفساد؛ لكي نصبح نحن فيه أقوى من الموت والفساد" (المسيح واحد ص ٨٨).

فقد كانت حالتنا نحن هي التي استدعت هذا التنازل، وأن يأتي آدم الثاني الذي من السماء (١كو ١٥: ٤٧) .. لكي يحررنا من الدينونة. يقول كيرلس:

" .. لأنه لم يفعل خطية؛ فكسبت الطبيعة الإنسانية غنى عدم الفساد، وصارت بلا لوم، وهو ما يجعلها قادرة على أن تصرخ بكل جرأة "إلهي إلهي لماذا تركتني" (متى ٢٧: ٤٦) ... لماذا صدرت عنه هذه الكلمات؟ لأنه صار كواحدٍ منّا، ونائباً عن الإنسانية، فقال هذه الكلمات؛ لأن الإنسان الأول تعدَّى وسقط في عدم الطاعة ولم يسمع الوصية التي أُعطيت له .. فصار أسيراً للتعدي ولذلك بكل حق أُخضع للفساد والموت، ولكن الإبن صار البداية الجديدة على الأرض ودعي آدم الثاني" (المسيح واحد ص ٧٨).

جبل طابور – جبل التجلي

سبق تجلي الرب موته وقيامته. وحسب التدبير لا يمكن للزمان فرض شرحٍ أو تأويلٍ على شخص المخلص:

أولاً: لأن الرب يسوع ليس بشراً ساقطاً تحركه وتسود عليه طبيعة تتحكم في إرادته وتحركه وتسوقه كما يحدث لنا نحن البشر. حقاً أخذ الرب الطبيعة الإنسانية الساقطة لكي تتحول فيه أي في أقنومه من الموت إلى الحياة، ومن الفساد إلى عدم الفساد، ولكن هذا التحول يتم **حسب التدبير**، أي يأخذ قوته من إرادة وحرية اختيار وحياة الأقنوم الإلهي. خضوع الرب لحياتنا نحن ليس خضوع الأسير، بل هو خضوع طاعة حر. حتى الطبيعة المائتة التي أخذها وماتت، لا تحكم إرادته حسب كلمات الرب نفسه: "لي سلطان أن أضعها وسلطان أن آخذها"، بل أضاف الرب ما يُسكِت غباوة العقل المستعبد: "ليس أحدٌ يأخذها مني، بل أضعها أنا من ذاتي" (راجع بدقة يوحنا ١٠: ١٧–١٨). لم يكن أحد قادراً على أن ينزع حياته، أي حياة يسوع لا اليهود ولا الرومان، ولكنه هو الذي "من أجل السرور الموضوع أمامه احتمل الصليب مستهيناً بالخزي فجلس في يمين عرش الله" (عب ١٢: ٢).

ثانياً: وسلطان الموت نافذ علينا، بل كما تقول كلمات الحق في القداس الإلهي: "هذا الذي كُنّا ممسكين به مبيعين من قِبَل خطايانا"، وهو ما لا ينطبق على يسوع بالمرة لأن حريته من الموت ليست فقط بسبب حريته من الخطية، فهو "بلا خطية" وبلا عبودية للموت، ولكن لأنه الحياة حسب قوله الإلهي، وهو الذي يقول: "أنا هو القيامة والحياة"، ولذلك عندما أذاع رسوله بشارة الخلاص يوم العنصرة قال: "الذي أقامه الله ناقضاً أوجاع الموت إذ لم يكن ممكناً (للموت) أن يُمسك به" (أع ٢: ٢٤).

وعندما ينقض أوجاع الموت فهي ليست الآلام وحدها، بل الفساد وتحلل

الجسد، وافتراق الحياة تماماً عن الجسد، وهو ما لا يحدث لنا لأننا نعود إلى التراب في انتظار القيامة، ولكن الرب لم يرَ جسده فساداً (أع ٢: ٢٦). فكيف يجمع الرب في إنسانيةٍ واحدةٍ وحيدة المجد والهوان، الجسد القابل للموت والجسد الذي – بسببه – حتى الثياب التي كانت عليه صارت أكثر لمعاناً من نور الشمس؟

ما يجب أن نراعيه هو مناسبات استعلانات الخلاص:

لم يكن التجلي حادثاً عرضياً تم بشكل فجائي استعراضي، فهذا لم يكن بالمرة من سمات يسوع. كيف قدمت الأناجيل التجلي؟

حسب لوقا، بدأ الرب بسؤال: مَن تقول الجموع؟ ثم جاء اعتراف بطرس وقال: "مسيح الله"، ولكن الرب "انتهرهم، بل أوصى أن لا يقولوا ذلك لأحد"، وشرح الرب نفسه السبب قائلاً: "أنه ينبغي أن ابن الإنسان يتألم كثيراً ويُرفض من الشيوخ .. ويُقتل وفي اليوم الثالث يقوم" (لوقا ٩: ١٩-٢٢). المسيح الملك محرر اليهود من الرومان هو سبب انتهار الرب كما هو واضح؛ لأن المناسبة هي: ماذا تقول الجموع التي تبعت يسوع ورأت فيه المخلص السياسي والملك مثل شمشون وداود وغيره من أبطال العهد القديم. هنا صدمة وعثرة الصليب: أن يسوع المسيح سوف: يتألم – يُقتل – يقوم في اليوم الثالث.

هذا هو الحوار القصير الذي دار بشأن الاعتراف. ولكن الأمر لم يقف عند هذه النقطة الحاسمة إذ يقول الإنجيل: "وقال للجميع"، وهذا يعني الشعب والتلاميذ: "إن أراد أحد أن يأتي ورائي فلينكر نفسه ويحمل صليبه **كل يوم** ويتبعني" (لو ٩: ٢٣)، فكيف انتقل الخطاب من الاعتراف إلى حمل الصليب كشرطٍ للتلمذة؟ لأن المسيح كان يضع التعليم والحياة معاً في وحدة واحدة لا تقبل التقسيم. وشمشون يحارِب، لكن يسوع يقول: "من أراد أن يخلص نفسه يبذلها أو يقدمها أو يهلكها. ومن يبذل نفسه من أجلي فهذا يخلصها"، ثم يأتي الإنذار: "ماذا ينتفع الإنسان لو ربح العالم كله وأهلك (خسر) نفسه". وبقوة تجرف كل طياشة الفكر: "لأن مَن استحى بي وبكلامي فبهذا يستحي ابن الإنسان متى جاء بمجده ومجد الآب والملائكة القديسين". وجاءت مناسبة استعلان

المجد: "حقاً أقول لكم إن من القيام ههنا قوم لا يذوقون الموت حتى يروا ملكوت الله. وبعد هذا الكلام بنحو ثمانية أيام أخذ بطرس ويوحنا ويعقوب .." (لوقا ٩: ٢٥-٢٨).

المناسبة هي:

- الاعتراف.
- الصلب الذي يلوح في الأفق.
- الموت، ثم القيامة.

ولذلك يشرح ذهبي الفم في العظة ٥٦: ٣ على إنجيل متى هذه المناسبة بالذات قائلاً:

> "لقد تجلى لكي يُعلن مجد الصليب، ولكي يعزي بطرس والآخرين الذين خافوا من خطابه عن الآلام لكي يرفع إلى فوق إدراكهم لأنهم ساروا معه خائفين وكانوا عاجزين عن الكلام عن مجده الذي سوف يكمله في أورشليم، أي آلامه ومجد الصليب".

لقد قال الرب إن الذين معه سوف يرون مجده الآتي، وهذا المجد يُستعلن لمن اختارهم. لأن التجلي كان كما ذكر لوقا عن "خروجه"، أي "خروج يسوع نفسه، الذي كان عتيداً أن يكمله في اورشليم" (لوقا ٩: ٣١)؛ لأن الصلب هو الخروج الحقيقي من عبودية الموت.

وشرح ذهبي الفم ليس قطعةً فريدةً، بل هو الشرح العام عند كل الآباء الذين شرحوا حادثة التجلي. يشرح القديس كيرلس الكبير في العظة ٥١ على إنجيل لوقا عبارات ربنا يسوع على هذا النحو:

> "أقول لكم إن مِن القيام (الوقوف هنا أمامي) مَن لا يذوقون الموت .. حتى يرون ملكوت الله .. وملكوت الله هو استعلان المجد الذي سوف يُستعلن لكل أهل الأرض. هو سيأتي بمجد الله الآب وليس في تواضع حقارتنا نحن .. لقد صعد إلى الجبل وتجلى ببهاءٍ إلهيٍ فائقٍ حتى أن ثيابه أضاءت بنور ونار .. وظهر معه موسى وإيليا وتكلما معه عن خروجه الذي سوف يكمِّله في أورشليم. هذا يعني سر التدبير في الجسد والآمه المجيدة على

الصليب".

ومع هذا البهاء كما يلاحظ جيروم في شرح إنجيل متى لم يفقد يسوع إنسانيته، ولا شكله رغم البهاء الذي سطع منه (شرح إنجيل متى ٣: ١٧)، فقد قُبض عليه في البستان وجُلد وصُلب ومات، ويبقى سر التدبير كما يقول العلامة أوريجينوس مخفياً عن الذين يطلبون يسوع الإنسان فقط، أمَّا الذين يصعدون مع يسوع على الجبل، هؤلاء يرفع يسوع إدراكهم لكي يعاينوا مجده (شرح انجيل متى ١٢: ٣٧).

حتى لا نعثر في سر التدبير:

١– يجب أن لا نضع الرب تحت أحكام الزمان، وما تأتي به أحداث معينة هو صانعها ولم تُفرض عليه. يسوع ليس ضحية شغب جموع، بل كاهن وذبيحة. يسوع ليس مجرد بشر تسوقه أحداث التاريخ، بل هو رب التاريخ وسيده. هو ليس **محصلة** اتحاد طبيعتين تعملان حسب مقاييس، بل هو الأقنوم الذي وحَّد في كيانه الطبيعة الإنسانية معلِناً فيها على مراحل ما سوف تؤول إليه حسب تدبيره الأزلي.

٢– يحفظ الرب ناسوته بشراً كاملاً بكل ما في هذه الكلمة من حقائق: الوجع – العذاب – الدموع – الصراخ – الخوف – الحزن – ثم الموت. هذه هي السمات التي يجب أن **تتحول فيه** هو أولاً كباكورة أو آدم الجديد إلى سمات المجد والقوة والعزة والبهاء؛ لأن هذا هو حال الإنسانية الجديدة التي وصفها رسوله بولس باسم: "جسد مجده" (فيلبي ٣: ٢١) والتحول حقيقي خاضع لحرية اختيار الرب وحسب مناسبة الاستعلان.

"ما قبل وما بعد"، لا مكان له في التدبير:

١– ما قبل الولادة في بيت لحم، هي الولادة الأزلية، ومع ذلك هي قاعدة وأساس الخلاص. وما بعد الولادة في بيت لحم هو مسيرة الحياة التي تجمع بيت لحم – الأردن – البرية – الكرازة – الصلب – الموت – القيامة ... هذه كلها خاصة بالاتحاد الأقنومي بالرب الواحد الذي لا ينقسم؛ لأن الانقسام هو مأساة الخطية والموت، وكلاهما الداء الذي جاء من أجله المخلص لكي يقدم الشفاء منه والتجديد.

٢- سبق الرب وأعلن مجده قبل الصلب لكي يؤكد للتلاميذ أنهم سوف يشاهدون مجد قيامته ولن يذوقوا الموت حتى يروا ملكوت الله آتياً بقوة .. جاء الملكوت في التجلي وفي الصلب وفي القيامة وفي الصعود .. فهو آتٍ دائماً حسب قدرتنا اللغوية على التعبير، مستعلنٌ مسبقاً لكي نراه كاملاً في يوم بهاء مجد الابن الوحيد.

- جاء متجسداً في تواضع لأجلنا ..
- سيجيء متجسداً في مجد لكي يعطي لنا مجده (يوحنا ١٧: ٢٢).
- مُسِح في الأردن لأجلنا لكي ننال مسحته (١يوحنا ٢: ٢٠، ٢٧).
- صُلِب لكي يبيد موتنا نحن، ولكي نُصلب معه ونقوم لحياة عدم موت.
- قام من الأموات لكي يعطي لنا قيامة.
- المحور هو نحن، لا الزمان.
- المركز هو احتياجات الإنسانية، لا ترتيب الأحداث.
- الهدف هو الخلاص الأبدي.

- على جبل طابور سطع مجدك
- قبل موتك وصلبك
- الصليب خزي وعار عند الهالكين
- هو موت القوي في أشد حالات الضعف
- بالضعف غلبت ما لا يُغلب بالقوة
- سحقت الموت
- كان مجدك في كيانك
- يشرق حينما تريد
- أشرق حتى على الجلجثة
- عندما فاض نهر غفران
- جرف كل خطايا البشر
- أشرقت المحبة من القبر
- لأنك لم تترك جسدك للإنحلال
- أحببتنا وأعطيت كل شيء حتى جسدك ودمك
- وعند الكأس، وفي صينية القربان، تتجلى
- عطية الحياة التي لا تموت

د. جورج حبيب بباوي